

يوم تكريم (أ.د. طه جابر العلواني - السيرة والمسيرة)
قاعة رواق المعرفة - مركز الدراسات المعرفية
الثلاثاء ١٢ من رجب ١٤٣٧هـ
الموافق ١٩ من أبريل ٢٠١٦



من أقواله:

"القرآن الكريم مطلق وهو أوسع أن يجد بتعريف"
"نحن حولنا القرآن إلى شواهد، أي أنه ليس مصدر منشئ لأفكارنا ومعتقداتنا
وتصوراتنا وأفعالنا بل نحن نصنع الصورة أو الرؤية ثم نأتي لنستدعي الآية لتكون
شاهداً نعزز ما بنيناها بعقولنا"
"أخطأت الأمة عندما توهمت أن القرآن جاء لبناء أمة قومية مثل الكتب الأخرى،
فظنت أن هناك دولة إسلامية ومجتمعاً إسلامياً وأمة إسلامية يختصا بالقرآن سواء لعامل
اللغة أو لأي عامل آخر، لا فالقرآن للبشرية كلها ولا يمكن أن يوضع في إطار خاص

ومن الخطأ أن ينظر إلى اليهودية والنصرانية على أنها قسيمة لأمة القرآن، لأن أمة القرآن يفترض أن تكون للبشرية كلها"
"القرآن الذي سماه الله تبياناً لكل شيء لا يمكن أن يوصف بأنه حمال أوجه"

تلك كانت بعض كلمات قالها فضيلة الدكتور طه جابر العلواني في رحاب القرآن الكريم، ذلك الكتاب لا ريب فيه، وكان الشيخ لصيقاً ومستأنساً به، يبيت ويصحو عليه، كان أقرب إليه من ماله وأهله وكل شأنه، كان يعيش للقرآن ومات على القرآن. كان حين تراه في سكرات الموت كانت شفثيه تنطق بآيات من الذكر الحكيم. اللهم هذا حال عبدك طه جابر مع كتابك في الدنيا فأجعله أنيساً له في قبره حتى يلقاك ويكون بإذن الله شاهداً له مشفعاً فيه بإذن الله .

ففي مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن، قد كان يضيع فرائضه، ويتعدى حدوده، ويخالف طاعته، ويركب معاصيه فيقول: أي رب حملت آياتي بئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وترك طاعتي وركب معصيتي، فما يزال عليه بالحجج حتى يقال فشأنك به، فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبه على منخره في النار. ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ويحتمل معصيته فيصير خصماً دونه، فيقول: أي رب حملت آياتي خير حامل اتقى حدودي وعمل بفرائضي واتبع طاعتي واجتنب معصيتي فلا يزال له بالحجج حتى يقال فشأنك به، فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلة الإستبرق ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك. رواه البزار وفيه إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات.

ولا نستطيع أن نوفي المرحوم الشيخ/أ.د. طه جابر حقه، ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم. فقد شارك أ.د. عبد الحميد أبو سليمان - رئيس المجلس الأعلى لأمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي في يوم تكريم العلامة طه جابر العلواني، والذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومركز الدراسات المعرفية بالقاهرة في يوم الثلاثاء ١٢ من رجب ١٤٣٧هـ/ الموافق ١٩ أبريل ٢٠١٦م. وبدأ التكريم بتلاوة آيات الذكر الحكيم من سورة الزمر، أعقبها كلمة افتتاحية أ.د. رفعت العوضي - المستشار الأكاديمي لمركز الدراسات المعرفية، وذكر أنه ورد عن النبي ﷺ " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" والحمد لله تعالى فيما نعلم قد أنعم الله تعالى على الشيخ طه جابر بكل ذلك ونتمنى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته. ثم تلى على الحضور السيرة الذاتية لفضيلة الأستاذ الدكتور طه جابر.

وتناول الكلمة أ.د. عبد الحميد أبو سليمان - رئيس المجلس الأعلى لأمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وبدأ كلمته بالتعريف كيف التقى بفضيلة الدكتور طه جابر العلواني، ومجموعة قيادات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وقال منذ أن تعرفت عليه تبين لي أنه مفكر يتميز - ليس فقط بعلمه الشرعي - بل بميزة أخرى فعّلت علمه الشرعي؛ أنه كان رجل سياسة، ودخل في صراع مع الماركسيين والبعثيين في العراق انتهى بخروجه من العراق، وهو صاحب فكر وكلمة يدافع عنها ودفع في سبيلها الكثير من استقراره وتركه وطنه الحبيب.

الواقع أن د. طه جابر في أدبياته واهتمامه بالواقع السياسي أعاد النظر في كثير من قضايا الفقه والعقيدة وعمل ما يسمى بتجديد الدين، بإعادة توقيفها على

هذا العصر. فعلى سبيل المثال كتابه أدب الاختلاف، أكد فيه أن الاختلاف أمر وارد، ولا يجب أن يتحول الاختلاف في وجهات النظر لكي نصل إلى ما هو صواب، أن يتحول إلى عراقك وصدام بيننا.

د. طه جابر بذل في مجال تجديد الدين ومجال بناء المفاهيم جهوداً كبيرة وتعامل معها في ضوء مشكلات هذا العصر وبإدراك سياسي كبير.



ثم أعقب تلك المداخلة مشاركة للدكتورة رقية طه جابر العلواني بعنوان "بر الأمان" تلاها د. عبد الرحمن النقيب أثارت شجون الحاضرين.

برّ الأمان

رقية طه جابر العلواني

ما زلت استيقظ في منتصف الليل وصوته يشدو في أذني، يناديني بأحبّ الأسماء إليّ .. ذاك الاسم الذي كان يناديني به وأنا طفلة صغيرة، فأجري إلى أحضانه

فيضميني وأختبئ في عباته، فأرى الدنيا وقد حيزت لي من أطرافها. هل اليتيم من فقد والده ولم يبلغ الحلم حقًا!. فلماذا أشعر باليتم وقد شارفت على الخمسين عامًا!. لماذا باتت الدنيا وكأنها أشد ضيقًا من سَم الخياط.... كانت بالأمس رحبة، تتسع لكل الأمنيات والآمال العريضة التي لا ترضى دون صلاح الأمة ورفعتها مطلبًا. أين الانتظار والترقب لإجازة قصيرة، أحزم فيها أمتعتي وأحظى فيها بقربه والأنس بحديثه.... أين لهفة الجديد... القادم المرتقب..... أين... أين... هل رحل كل هذا عن حياتي حقًا! هل رحل والدي! عاش والدي ومات غريبًا ولم تكن غربته في أرض ولا أوطان. عاش والدي متواضعًا في غير حاجة ولا نقصان، عاش مجاهدًا دونها جياذ ولا فرسان، عاش أسيرًا من غير سجن ولا قضبان. وعاش دوما ملكًا من غير عرش ولا سلطان..... لست بشاعرة ولا أكتب الشعر ولكن لكل كلمة مما كتبت، معنى أفصح عنها البيان وفاض بها الوجدان، فما هي إلا فصل من فصول حياة والدي. لم أدرك يومًا أن والدي ناهز الثمانين عامًا إلا حين نعته الصحف والمنظمات والهيئات في مشارق الأرض ومغاربها، قائلة؛ رحل العلواني عن عمر ناهز الثمانين عامًا. ليس لأني لم اعرف ولكنني لم اشعر بها يومًا، فما جالسته إلا وشعرت أني أمام شاب لما يبلغ الثلاثين عامًا. نعم. في قمة الشباب والحيوية والنشاط، ولم يكن شباب والدي شباب صحة ولا أيام ولا شهور ولا أعوام، بل كان شباب آمال وأحلام... أفكار وأقلام... كتب وتصانيف ودورات.. لم يطل بها المقام. فإنا لله وإنا إليه راجعون

رحل والدي عن دنيا لم يعيش لها، غادرها إلى دارٍ لم تتق روحه إلا لها... قلة من الناس يعرف عن والدي روحانيته العطرة وشفافيته النيرة، لكنني عرفتها منذ

الصغر..لمستها..عشتها....عايتها. لطالما تذاكرنا حياة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته المشرفة، فيحلو السمر وتشدو الطيور وقت السحر. ثم رأيتها في اللحظات الأخيرة من حياته، وهو يردد..اشتقت إلى جوار ربي، اشتقت إلى جوار ربي. اشتقت إلى السجود....بين يديه. وكان والدي قد حُرّم من السجود أعوامًا طويلة، أقعده المرض والألم ولكن حرّكه الشوق والأنس حتى سجد واقترب. والدي الحبيب...تعلمت منك في حياتك كما تعلمت منك في وفاتك....تعلمت أن الحياة سباق إلى رضى الرحمن، رحلة إلى أعلى الجنان، لا يحظى بها إلا من كان له حسّ ووجدان، بصيرة وعقل في غير غفلة ولا نسيان، يستلهم النور من القرآن، وبهدي المصطفى يرنو إلى برّ الأمان.



ثم كانت مداخلة أ.د. عبد الرحمن النقيب - المستشار التربوي لمركز الدراسات المعرفية بورقة عنوانها "أ.د. **طه جابر العلواني السيرة والمسيرة**". وقال شارحاً: هذه الورقة تعتمد على ثلاثة مصادر: مصدر العلاقة

الشخصية الممتدة بيني وبين المرحوم أ.د. طه جابر العلواني، والذي بهرني بما كان يتمتع به - رحمه الله تعالى - من معرفة علمية واسعة بعلوم الدين. في إطارها التقليدي وما كان يكدح من أجله مخلصاً ومثابراً في سبيل تحرير تلك المعرفة الدينية ودراساته رحمه الله.

أما المصدر الثاني لتلك الورقة فهو القراءة لكل ما كتبه الشيخ قراءة كاملة ما عدا تحقيقه لكتاب المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين الرازي، وهي الرسالة التي حصل بها على الدكتوراه في أصول الفقه من جامعة الأزهر الشريف.



أما المصدر الثالث وهو أهمها على الإطلاق فهو تلك السيرة الذاتية المسجلة للمغفور له بإذن الله، والمفرغة في مخطوط ضخمة يتجاوز الستائة صفحة من المقاس الكبير، والذي تم من خلال سلسلة لقاءات تمت مع فضيلته خلال الفترة من الأحد ١٤-٩-٢٠٠٦ إلى آخر لقاء في ١-١١-٢٠٠٧، وبلغ عدد تلك اللقاءات إحدى عشر لقاءً، خططت لها بالاتفاق مع المرحوم لتكون توثيقاً حياً لسيرته ومسيرته ينتفع بها الباحثون والدارسون. وقام بمعظم تلك اللقاءات أحد تلامذتي التربويين الأزهريين المرحوم د. عبد الناصر زكي العسائي. وشاركنا د.

عبد الناصر في لقاءين ختاميين لاستكمال ما رأيت أنه يستحق الاستكمال. وقام د. عبد الناصر بالتسجيل وتفريغ اللقاءات، ثم راجعتها مراجعة كاملة وبالإضافة إلى ذلك قام الدكتور عبد الناصر بقراءة تلخيص كتب فضيلة الدكتور طه جابر العلواني، بما في ذلك رسالة الدكتوراه والتي بلغت صفحاتها حوالي ثلاثة آلاف ومائتان وخمسون صفحة، كما جمع مركز الدراسات المعرفية حوالي عشرين شهادة من رفاق ومعارف الدكتور وكبار مفكري الأمة تناولت سيرة فضيلة الدكتور رحمه الله وقد راجعت تلك الإضافات ثم عرضت مجموع هذا الجهد في صورته النهائية على فضيلة الشيخ رحمه الله فأجازها في وقتها مع التوصية بإرجاء طباعتها لأسباب رآها فضيلته وأظن أنه قد آن الأوان لنشر هذا العمل المتكامل لمزيد من النفع والفائدة للدارسين والباحثين.

وكانت مداخلة أ.د. السيد عمر – أستاذ النظرية السياسية بجامعة حلوان، بعنوان "دور العلامة طه العلواني في بناء المفاهيم" وأكد فيها أن د. طه جابر العلواني كان يمثل ذروة ما وصلت إليه مدرسة إسلامية المعرفة، في تأسيس علم بناء المفاهيم الإسلامية. وقد لا نقع في المبالغة بالقول بإن جوهر كافة مؤلفاته هو توليد لمنهجية لبناء المفاهيم بوجه عام، وبناء بعض المفاهيم المنظومات، وتفكيك ثلثة من المفاهيم الشائهة الدارجة وإعادة بنائها. ويجسب له أنه لم ينشغل كما فعل كثير من علماء الأمة بتفكيك مفاهيم غريبة وإعادة بنائها. فساحة مشروعه الفكري كله ظلت على الدوام هي بيان معالم طريق:

تنقية التراث الإسلامي مما علق به من غبش في بناء المفاهيم الإسلامية المحورية، التي صارت من فرط استقرار مضامينها، ومن حجية من بنوها، بمثابة مسلمات تعيد إنتاج معارف مزجاة، هي أحوج ما تكون إلى إعادة النظر والبناء. ولم تشغل تلك القامة الفكرية السامقة بالمفاهيم الفرعية، بل سعت إلى مقاربتها في سياق إعادة بناء منظومة المفاهيم المفتاحية الكلية من منظور كلي يعي أن القرآن الكريم جملة واحدة بل كلمة واحدة مما فتح فضاء رحبا لبناء كثير من المفاهيم المتفرعة عنها بالتبعية ولمراجعة الكثير من المقولات بالغة الخطورة معرفيا، والفصل في عالم المفاهيم الإسلامية بين ما مكانه هو: المفهوم المظلة المنظومة وما موضعه هو المفهوم المفتاحي الإطاري، وما محله هو المفهوم التابع. ولقد آثرت في هذه المقاربة الاعتماد على مؤلفات هذا العلامة مباشرة دون ما كتب عنه. وحاولت تطبيق منهجيته السياقية في رصد إسهاماته في بناء المفاهيم.

ولما كان ما قدمه العلواني من عطاء معرفي في بناء المفاهيم يندرج في وعائين مترابطين: تأسيس منهجية قرآنية لبناء المفاهيم، وبناء ثلثة من المفاهيم المنظومة التي تمثل نماذج عملية لتطبيق تلك المنهجية، فإن هذه المقاربة تنقسم إلى مبحثين، يجلي أولهما: المعالم الكبرى لتلك المنهجية، ويلقي الثاني ضوءا خاطفاً على تطبيقاتها.

وتناولت الكلمة د. خديجة جعفر - باحثة في مجال الفلسفة الإسلامية، وكانت مداخلاتها بعنوان "**المراحل الفكرية للشيخ الراحل الدكتور طه العلواني**" وحددت كتاباته إلى ثلاث مراحل فكرية هي: المرحلة التقليدية، حيث اهتم فيها ببعض القضايا الفقهية والأصولية التقليدية التي يألف الأزهريون الاهتمام بها مثل: تحقيق رسالة الصلاة المنسوبة للإمام أحمد، الاجتهاد والتقليد في الإسلام، ١٩٧٩؛ تحقيق المحصول في أصول الفقه، ١٩٧٩؛ أدب الاختلاف في الإسلام ١٩٨٤.

المرحلة الثانية هي المرحلة الانتقالية و التي بدأ فيها التفاعل الخلاق مع حضارة العصر، واهتم فيها بفكرة إسلامية المعرفة، ودعا إلى التجديد، وأنتج بعض الأفكار التي طورها فيما بعد. وهذه المرحلة هي التي تزامنت مع تجربته في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي وراثته، وتمثلها الأعمال الآتية: أصول الفقه: منهج بحث و معرفة، ١٩٨٨؛ إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ١٩٩١؛ إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، ١٩٩٦؛ التعددية: أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع، ١٩٩٦.

المرحلة الثالثة هي مرحلة الأطروحات الفكرية. في هذه المرحلة أثمر تفاعل التكوين الديني الأزهري مع حضارة العصر و مشكلاته وأنتج العلواني سلسلة في الدراسات القرآنية التي تنتظم في مشروعه الطامح إلى نقد التراث بمعيارية القرآن الكريم. و هذه الفترة تمثلها الأعمال الآتية: لا إكراه في الدين، ٢٠٠٦؛ الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ٢٠٠٦؛ لسان القرآن، ٢٠٠٦؛ نحو موقف قرآني

من النسخ، ٢٠٠٧ ؛ نحو موقف قرآني من المحكم والمتشابه، ٢٠١٠؛ أفلا يتدبرون القرآن، ٢٠١٠.

ثم تحدثت عن ثلاث أطروحات أساسية في فكر فضيلة المرحوم د. طه جابر:

الأطروحة الأولى: الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون

الأطروحة الثانية: سؤال المنهج : نحو بناء "المنهج التوحيدي للمعرفة"

الأطروحة الثالثة: الأصول الفقهية وتأسيس علم المراجعات.



ولأن العلم رحم بين أهله، فقد ترك فضيلة الدكتور أبناءً أيضاً آخرين من غير صلبه، تربوا على أفكاره ونهلوا منها، وكان أحدهم الباحث في العلوم السياسية، أ. أجد جبريل - الذي شارك بكلمة بعنوان "**قولٌ مريدٍ في شيخ فريد: حكاياتٌ من سيرته في سيرتي**" تحدث فيها عن مسيرته مع الشيخ طه وكيف تعرف عليه في عام ١٩٩٦ وكان مما لفته إليه في أول الأمر صوته القوي وقدراته الخطابية الواضحة. وأكمل قائلاً: استطعتُ أيضاً تمييزَ روحه المرحه وخفة ظله اللافتة، وكان واضحاً أنه ينظر بتقدير لجيل الشباب لأنه حدثنا عن مشروع "إسلامية المعرفة" بتواضع شديد. وكان ثاني موضوع يلفتني في

اهتمامات الشيخ طه هو موضوع "العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات"، حيث اندهشتُ من منهجية الشيخ التي تجمع بين عمليات التصحيح التاريخي بمنهجية قرآنية، وبين النقد الفكري الرفيع للطائفية السياسية وتجربة حزب البعث العراقي، وخصوصاً نتائج الدور الخطير الذي لعبته المؤسسة العسكرية في العالم الإسلامي. واختتم كلمته بيت الشعر: (وما عسى أن يقول الوشاة عنا، سوى أني بك يا شيخي مُعجبٌ).



وتناول الكلمة فضيلة الشيخ محمد عوض: وقال إن الحديث عن الشيخ حديث ذو شجون، وأن الحديث عن مناقب الشيخ لا تحصى، ولكن خلاصة الحديث عن مشروعه القرآني أنه أراد أن يأتي بصورة معاكسة لتعامل الناس مع القرآن. الأقدمون تعاملوا مع القرآن تعامل نخبوي، د. طه جابر أراد - فيما أتصور - أن ييسر للناس تلاوة القرآن. وهذه طبيعة القرآن بالضرورة [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ]. أراد الشيخ طه أن يزيل كثيراً من الهالات المصطنعة حول القرآن.

من مقولاته "أن علم أسباب النزول لا يجوز أن نطلق عليه علم إذا حاكمناه إلى المبادئ العشرة للعلوم فلن يجتاز مبدئين أو ثلاثة على الأكثر" وجربت ذلك في سورة البقرة لأحاجج الشيخ في مقولته تلك فذهبت بعد الدراسة أن أسباب النزول الصحيحة (وكانت الدراسة حصرية بالصحیحين) فكانت النتيجة ما له سبب في نزول آيات البقرة لا يعدو ٧%، وكان سعيداً جداً بهذه الثمرة من جهوده.

كانت أهم مرحلة مرحلية في حياة الشيخ - حسب قوله هو - مرحلة النظر في القرآن الكريم باعتباره الأصل الكاشف والمنشئ، وهذه المرحلة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتمحيص لأنها ستحدث نقلة هائلة في مجال القرآن ومجال علوم القرآن.

ثم أتاحت الفرصة للحضور للمشاركة بكلمات تنبأ عن مدى تقديرهم لفضيلة الدكتور طه جابر العلمي وتراثه العلمي والفكري.

وكما افتتح اليوم بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، اختتم اللقاء بتلاوة للشيخ / محمد علي من سورة الفرقان.

رحم الله تعالى شيخنا الجليل وأسكنه الله تعالى فسيح جناته.

اللهم آمين.....